شوقى والعلم

للاستاذ احمد محمد الحوفى

تمهيد ، شغف شوقى بالعلم ، دعواته اليه وتوضيحه لآثاره ، جرائر الجهل ، العلم فى المدرسة وبعدها ، حظ المرأة من العلم ، الغرض السامى من العلم ، فخره بماضى مصر العلمى ؛ جلال المعلم .

(١)

أبرز سمات العصر الحديث أنه عصر العلم والثقافة ، وكل ماتشهده من جديد فى العالم ، ومانعجب به من طريف فى هذه الحياة ، ومانستمتع به من خير أو نصطلى به أحيانا من شر إنما مرده الى العلم ، ومرجعه إلى الثقافة .

والأمم تسمو بعلمائها ، فتمجد فى عهود السلم ، وترهب فى أعاصير الحرب ، ويكاد الواقع يقرر أن الاستعمار فى الزمن الحديث إنما هو استعمار العلماء للجهال ، فحيثما أنار العلم ، وشع فى النفوس كانت القوة والسلطان والمجد وحيثما أطبق الجهل بظلامه خوت النفوس من معانى العزة والكرامة والمجد ، فتسلط العالم على الجاهل ورغب القوى فى امتلاك الضعيف ، واستعمر القوى بعلمه الضعيف بجهله ، وإن كان عدد الغالبين المستعمرين لايبلغ عشر عدد الضعفاء المغلوبين .

ومأساة الشرق بالغرب تؤيد هذا ، فان أوربا لم تستعمر الشرق إلا فى عهود جهالته ، الجهالة التى جنت عليه الضعف والفقر والمرض ، وجرت وراءها الفرقة والانقسام واختلاف الوسيلة والغرض ، وأعمت الشرقيين عن كنوز الخيرات التى يطئونها بأقدامهم ، فتزاحم الغربيون لاستغلالها وامتلاكها واحتكارها ، ومنوا على بعض المواطنين بأن يكونوا عمالا فيها ، وظل الشرق فى غفلته أو سكرته إلى أن بعثه العلم من رقدته ، إذ علم أفراد منه فتصدروا صفوفه ، وتفخوا من روحهم القوى

فى روحه ، ونصبوا أمامه المثل العليا لحياة العزة والكرامة ، واتخذوا من نشر العلم وسيلة لبث آرائهم ، فسرعان ما استفاق الغافل ، ونشط الخامل ، وهبت أمم الشرق كلها تجاهد وتناضل .

وقد يمترى بعض الناس فى أن العلم وسيلة القوة فى الحروب ، كأنهم لا يعلمون أن الحروب تعتمد على الجيوش ، ولابد لها من علوم متنوعة تتصل بطبيعة الأرض ومواقع البلدان ، وأحوال الجبال والسهول والوديان ، وطبيعة الجو ، وحساب الأبعاد ، وإصابة الأهداف ، واختراع الآوزار والآلات : من طيارات وغواصات وقنابل ومدمرات .

وإذا كانت الحرب الاخيرة فى جملتها حرب آلات ومخترعات فان هذه الآلات والمخترعات كانت وليدة العلم ، وثمرة الجهاد الطويل للابتكار ، وكان فى كل أمة آلاف من العلماء جيشتهم فى معاملها ومصانعها ليخترعوا .

وما القنبلة الذرية إلا ثمرة لبحوث متواصلة ، ولولا العلم ما كان تحطيم الذرة وإن كنا لا نعنى الاشارة بما نشأ عنه أو ينشأ من تهديد المسلح للاعزل ، وإنما نعنى الاشارة بالآثار المحمودة النافعة الخيرة التى سيجنيها العالم من استخدام الذرة فى الصناعة والطب وغيرهما من وسائل الرفاهة والكمال .

وإن العلم هو الباعث على وثبات الشعوب ، ونهضات الامم ، وأيما نهضة اصطنعتها القوة المادية وحدها كانت كالحصن شيد على دعائم من الرمال ، لا بقاء له ولا صولة ولا طاقة له بأول جولة .

(٢)

لهذا كله كان أمير الشعراء حريصا على أن تتسلح مصر بالعلم ، فى الحرب والسلم ، وكان كلفا بالدعوة اليه يرددها فى كثير من قصائده ، حتى ليصح أنها عقيدة من عقائده .

وليس ذلك بعجيب منه بعد ماذاق حلاوة الثقافة شرقية وغربية ، قديمة وعصرية وعلم من تجارب الايام ، وعبر التاريخ أن العلم ذريعة القوة ، وعاش فى عصر اسماعيل وما بعده ، عصر الافاقة واليقظة وإشراق العلوم بمصر .

ثم إنه رأى أوربا تتسابق فى ميادين المعرفة ، وتتنافس فى حلبة الاختراع ، وتعتز بعلمائها وأدبائها كما تعتز بملكها وفتوحها ، فود لو تقتدى مصر بها ، ولا يبقى جاهل تحت سمائها .

(٣)

يقرر أن العلم هو الوسيلة للفوز والغلب ، وحياة السعادة والسيادة ، وأنه سياج المملكة وحارسها وحاميها ، لان العلماء بآرائهم واختراعهم يذودون عن الحمى ، ويقون الوطن غير العدوان ، كما تحمى الاسود عرينها .

يقول فى مدحة من مدائحه للمغفور له الخديو عباس :

بالعلم تملك الدنيا وتضربها ولا نصيب من الدنيا لجهال
والعلم يعتصم الملك الكبير به كالغاب مابين آساد وأشبال

ويقول للمغفور له الملك فؤاد فى حفلة افتتاح الجامعة المصرية :

وألق فى أرض منف أس جامعة من نورها تهتدى الدنيا بنبراس
ترك النفوس بلا علم ولا أدب ترك المريض بلاطب ولا أسس

ويقول له أيضا :

إن سرك الملك تبنيه على أسس فاستنهض البانيين العلم والادبا

ويقول أيضا .

فلم تبرح القصر الا شفيت جدوب العقول واعلالها
لقد ركب الله فى راحتيك يمين الجدود وشمآلها
تحط وتبنى صروح العلو م وتفتح للشرق أقفالها

ويقول له فى قصيدة الازهر .

والله ماتدرى لعل كفيفهم يوما يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد غبنا وجل المشترى والمشترى

ويقول فى قصيدة دمشق :

الملك حول لسان تحته أدب وتحت عقل على جنبيه عرفان

ولم ينس فى الاحتفال ببنك مصر أن يقرن المال بالعلم فى الجلال والقدر ،

وانه دعامة من الدعائم التى يقوم عليها صرح الوطن ، وما قيمة المال بغير علم ؟ أليس العلم هو الذى يثمر المال فى وجوه نافعة ، ويبتكر الوسائل للوصول اليه ؟ هذه مصر قد احتكر الاجانب صناعتها وتجارتها ، وزاحموا حتى فى زراعتها منذ كانت تجهل كنوزها ، فلما تعلمت شرعت تدبر شأنها ، وتسترد بعض مالها ، لانها أحق بخيراتها .

يا طالبا لمعالى الملك مجتهدا خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يبق ملك على جهل وافلال

. . .

وانما تملك الامم ملكها الوطيد بالعلم والعدل أولا ، وكل ملك شيد بالقهر والغلب وحد السيف مع مجافاة العلم فمصيره الزوال ، لأن أسباب بنائه ، ومظان بقائه ، هى أسباب فنائه .

استمعوا إلى شوقى فى قصيدته « الاندلس الجديدة » يخاطب مدينة أدرنة من كريمات العواصم العثمانية فى مقدونية ، ويتحسر على سقوطها فى يد البلغار سنة ١٩١٢ ثم يعزو تقوض ملك الترك إلى أن دولتهم قامت على البطش والجبروت ، لا على الثقافة والعلوم

رفعوا على السيف البناء فلم يدم ما للبناء على السيوف دوام
أبقى الممالك ما المعارف أسه والعدل فيه حائط ودعام
فاذا جرى رشداً ويمنا أمركم فامشوا بنور العلم فهو زمام

ooo

وإذا كان الملك عزرائيل ينتزع الأرواح من الأجساد فتحول جثثاً هامدة ، فان الجهل ينتزع من الأرواح سماتها الانسانية ، وخصائصها الادمية ؛ فيئول بالجهال إلى فصائل البهم ، إذ ليس لهم من معنى الانسانية إلا أسمها

الجهل لا تحيا عليه أمة كيف الحياة على يدى عزريلا

. . .

إنى نظرت إلى الشعوب فلم أجد كالجهل داء للشعوب مبيداً

الجهـل لايلد الحياة موائه إلا كما تلد الرمام الدودا
لم يخل من صور الحياة وإنما أخطاه عنصرها فمات وليدا

...

أيقنت أن الجهل علة كل مجتمع سقيم

وقد كرر شوقي هذا المعنى في تحيته للترك ، وكأنما كان يستشف من وراء الغيب أن الكلمة الأخيرة في الحروب ستكون للقلم والعلم ، لأن المخترعات الفتاكة في غنى عن العدد وعن الشجاعة :

هـذا الزمان تناديكم حوادثه يادولة السيف كوني دولة القلم
فالسيف يهـدم جزءاً ما بنى سحرا وكل بنيان علم غير منهدم
قد مات في السلم من لارأى بعصمه وسوت الحـرب بين البهم والبهم
وأصبح العلم ركن الاخذين به من لايقم ركنه العرفان لم يقم

...

وكلما صاغ شوقي قصيدة في موضوع ذي صلة بالعلم أو بالفن — على أنه الجانب التطبيقي من العلم — سكب في قلوب الشباب من روحه الوثاب

ها هو في قصيدة عن الطيران عند قدوم «قدرين» و «بونيه» طائرين من باريس إلى مصر سنة ١٩١٤ يلتفت إلى الشباب المصري يوقظه من غفلته ، ويبعث فيه الثقة والغيرة والطيران بمصر إلى جو المعالي على أجنحة من العلم :

إنما مصر اليـكم وبكم وحقوق البر أولى بالقضاء
عصركم حـر ومستقبلكم في يمين الله خير الأمناء
لاتقولوا : حطنا الدهر فما هو إلا من خيال الشعراء
هل علمتم أمة في جهلهـا ظهرت في المجد حسناء الرداء
فخذوا العلم على أعـلاه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واطلبوا المجد على الارض فان هي ضاقت فاطلبوه في السماء

وفي تحية أخرى لطيارين فرنسيين مجد العلم المخترع ، العلم الذي لو تقدم به الزمن واقترن بالتحدي من فرد لعصره لعد معجزة ، ثم أثنى على الشجعان من العلماء

الذين أهلكتهم جرأتهم مثل « إيكار » ، و (عباس بن فرناس) وحسبهم من حسن الأحدوثة أنهم خلفاء الرسل فى المعرفة والاستشهاد ؛ وهز الفرضة فصرخ فى أذن الشرق الغافل ليستفيق ، فالحياة زحام وصراع يهلك فيها من استنام ، والحياة جد وكفاح لايغنى عنهما شيئا ماض مجيد كان للاباء والأجداد .

قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما
حين ضاق البر والبحر بهم أسرجو الريح وساموها اللجاما
صارما كان لكم معجزة آية للعلم آتاها الأناما
قدرة كنت بها منفردا أصبحت حصة من جد اعتزاما
طلبة قد رامها آباؤنا وابتغاها من رأى الدهر غلاما
أسقطت إيكار فى تجربة .. وابن فرناس فما استطاع قياما
فى سبيل المجد أودى نفر شهداء العلم أعلاهم مقاما
خلفاء الرسل فى الأرض هموا يبعث الله بهم عاما فعاما
أيها الشرق انتبه من غفلة مات من فى طرقات السيل ناما
لاتقولن : عظامى أنا فى زمان كان للناس عصاما
شاقت العلياء فيه خلقا ليس يألوها طلابا واغتناما
كل حين منهمو نابغة يفضل البدر بهاء وتماما

...

وفى قصيدته التى كرم بها المغفور له أحمد حسنين باشا الرحالة يقول للشباب :

قل للشباب بمصر عصركم بطل بكل غاية إقدام له ولع
ما الجاه والمال فى الدنيا وإن حسنا إلا عوارى حظ ثم ترتجع
عليكمو بخيال المجد فأتلفوا حياله ، وعلى تمثاله اجتمعوا
وإن نبغتم ففى علم وفى أدب وفى صناعات عصر ناسه صنع
وكل بنيان قوم لايقوم على دعائم العصر من ركنيه منصدع
شريف مكة حر فى عمالكه فهل ترى القوم بالحرية انتفعوا ؟

...

والفنون الجميلة فى رأى شوقى نفحات من الله تعالى حمل بها الحياة وعطرها ، وهذب بها النفوس ورقق الطباع ، وأرجع الى الناس نشاطهم إذا ما فتروا ، وأملهم إذا ما يئسوا ، والفن الجميل زينة الممالك وحلاها :

يقول فى رثاء سيد درويش :

لاترق دمعا على الفن فلن يعدم الفن الرعاة الامناء
هو طير الله فى ربوته . . يبعث الماء اليه والغذاء
روح الله على الدنيا به فهى مثل الدار والفن الغناء
تكتسى منه ومن آذاره نفحة الطيب واشراق البهاء
وإذا ما حرمت رقته قست القسوة فيها والجفاء
وإذا ما سئمت أو سقمت طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفن على الملك مشى ظهر الحسن عليه والرواء

. . .

والشعراء فى رأيه هم الناس ، أى الكملة فى الحيوية وفيض الشعور والاحساس

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت أنتم الناس أيها الشعراء

ولما كادت باريس تسقط فى الحرب العالمية الأولى تفجع الشاعر لسقوطها المتوقع لأنه يعرف لها فضلها على الأدب والفن والعلم ، ولأنها مقصد الطلاب من الشرق والغرب :

زعموك دار خلاعة ومجانة ودعارة يالفك مازعموك
إن كنت للشهوات ربا فالعلا شهواتهن مرويات فيك
تلوين أعلام البيان كأنهم أصحاب تيجان ملوك أريك
فاضت على الأجيال حكمة شعرهم وتفجرت كالكوثر المعروك
والعلم فى شرق البلاد وغربها ماحج طالبه سوى ناديك

° ° °

والاسلام يدعو إلى العلم ويكرر الدعوة ، إذ قام الاسلام على السمو بالروح وتطهير القلب وتربية العقل بالتفكير فى خلق السموات والأرض ، وأقام الإسلام

أسسه على العقل والتفكير ، فرفع من قواعد العلم وحببه إلى النفوس ، وحسب العلماء فخارا أن الله تعالى يقول « يرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات » ويقول « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » ويقول سبحانه : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » : ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » ويقول : « أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه » .

لذلك ذكر شوقى من مآثر الرسول على العالم أنه بعث بدين يربى العقول ويرفع من أقدار العلماء .

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له ... وأنت أحييت أجيالا من الرمم
والجهل موت فان أوتيت معجزة ... فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم
خططت للدين والدنيا علومهما ... ياقارىء اللوح بل يالامس القلم
أحطت بينهما بالسر وانكشفت ... لك الخزائن من علم ومن حكم
لما اعتلت دولة الاسلام واتسعت ... مشت بمالكه فى نورها التمم
وعلمت أمة بالقفر نازلة ..... رعى القياصر بعد الشاء والغنم
كم شيد المسلمون العاملون بها ... فى الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم والعدل والتمدين ما عزموا ... من الأمور وما شدوا من الحزم
ويجلسون إلى علم ومعرفة .... فلا يدانون فى عقل ولا فهم

. . .

ويقول :

ظلموا شريعتك التى نلنسابها ... مالم ينل فى روعة الفقهاء
مشت الحضارة فى سناها واهتدى ... فى الدين والدنيا بهسا السعداء

(٤)

ويمد شوقى بصيرته إلى بواعث الجرائم فيجدها ناجمة من ضيق العقل واضطراب الرأى والجهل بمصاير الأمور ومصادرها .

فنى تهنئة للزعيم الخالد سعد زغلول بالنجاة من إطلاق الرصاص عليه وهو

يتأهب للسفر إلى انجلترا للمفاوضة — عاب على الشباب أنه منصرف عن واجبه الأول ليلهو بالسلاح ، وأنه طائش لا يميز ، وأن اغتيال الزعماء ليس بوسيلة للتحرر ، وما وسيلة التحرر إلا الجيش اللهام والعلم الهادى والخلق المسك بالزمام :

أرى مصر يلهو بحد السلا ح ويلعب بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقو ل يجيل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلا د ولا همة القول عمرانها
ولا الحكم أن تنقضى دولة وتقبل أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلا د وبالعلم تشتد أركانها
فأين النبوغ وأين العلو م وأين الفنون واتقانها
وأين من الخلق حظ البلا د إذا قتل الشيب شبانها

. . .

والجهل يعمى المنتخبين عن اختيار الكفء الصالح للنيابة ، لأنهم ينخدعون بالوعود المعسولة ، والدعايات الجوف ، والزلفى الخادعة

تلك الكفور وحشوها أمية من عهد « خوفو » لم تر القنديلا
يتلو الرجال عليهمو شهواتهم فالناجحون ألذهم ترتيلا

. . .

فعلى شيوخ الأمة ونوابها أن يتداركوا التعليم فى مصر فينشروه فى كل مكان تظله سماؤها ، ويعيش فيه أبناؤها :

البرلمان غدا يمد رواقه ظلا على الوادى السعيد ظليلا
نرجو إذا التعليم حرك شجوه ألا يكون على البلاد بخيلا

. . .

وعلى الشباب أن يسموا فى تنوير الشعب ليتخير النواب العلماء الأكفاء للدفاع عن حقوقه حتى لا يوصم الرأى العام بأنه كالقطيع يساق ولا يقاد :

قل للشباب اليوم بورك غرسكم دنت القطوف وذللت تذليلا

ناشدتكم تلك الدماء زكية لاتبعثوا للبرلمان جهولا
إن أنت أطلعت الممثل ناقصا لم تلق عند كماله التمثيلا
فادعوا لها أهل الأمانة واجعلوا لأولى البصائر منهم التفضيلا

. . .

دار النيابة هيئت درجاتها فليرق فى الدرج الذوائب والذرى
الصارخون إذا أسيء إلى الحمى والزائرون إذا أغير على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الأولى يمشون فى ذهب القيود تبخترا

(٥)

وشوقى لا يريد بالعلم الاقتصار على برامج المدارس لأنها ليست إلا مفاتيح للاستبحار والتعمق ، وكم من متعلم اقتصر على ماعلمه فى المدارس ، وودع الكتاب يوم غادر المدرسة فصار بعد حين فى عداد القارئين ، لا فى عداد المثقفين الذين يسايرون الحركة الفكرية ويغذون أرواحهم كما يغذون أجسامهم . وإنما يريد شوقى بالعلم هذا النشاط الذهنى المتوقد ، وهذا النهم إلا الاستزادة من المعرفة وليس أضر على العلم والمتعلم من أن يطلبه للوظيفة وحدها :

وأطلبوا العلم لذات العلم لا لشهادات وآداب أخر
كم غلام خامل فى درسه صار بحر العلم أستاذ العصر
ومجد فيه أمسى خاملا ليس فى من غاب أوفى من حضر

. . .

وكم منجب فى تلقى الدرو س تلقى الحياة فلم ينجب

ويقول فى أسواق الذهب تحت عنوان : « شهادة الدراسة وشهادة الحياة مابال الناشيء وصل اجتهاده ، حتى حصل على الشهادة ، فلما كحل بأحرفها عينيه ، وظفرت بزخرفها كلتا يديه ، هجر العلم وربوعه ، وبعث إلى معاهده بأقطوعة . طوى الدفاتر وترك المحابر ، وذهب يخايل ويفاخر ، ويدعى علم الأوائل والأواخر ، فمن ينبيه أن الشهادة طرف السبب وفاتحة الطلب والجواز إلى أقطار

العلم والأدب ومن يقول له أرشده الله إن شهادة المدرسة غير شهادة الحياة ؟ ،

(٦)

وشوقى حريص على تعليم الفتاة لأنها بعد حين الأم التى تلد الأطفال أو الأشبال وتربيهم على أحسن مثال ، الأم التى تستحق كلمة نابليون انها تهز المهد بيمينها وتحرك العالم بيسارها .

واذا النساء نشأن فى أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

ويقول مبينا حظ النساء من العلم فى صدر الاسلام وعصور الازهار ومفاخراً بما كان لهن من آثار .

هذا رسول الله لم ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة كفسائه المتفقهات
رضى التجارة والسيا سة والشئون الأخريات
ولقد علمت بناته لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملأ الد نيا وتهزأ بالرواة
روت الحديث وفسرت آى الكتاب البينات
وحضارة الاسلام تنـ طق عن مكان المسلمات
بغداد دار العـالما ت ومنزل المتأدبات
ودمشق تحت أميـة أم الجوارى النابغات
ورياض أندلس تمي ن الهاتفات الشاعرات

(٧)

ولا بد أن يكون الغرض من العلم ريا للنفوس العطاش الى الخير والحق والجمال ، لأن العلم من نور الله ، وهبة من عطاياه ، ولوصح أن الله تعالى يرى لكان العلم هو المصباح الذى يراه به العلماء ، فكيف يسوغ أن يستخدم العلم فى الشرور وفيما يغضب الله ؟ إن الابطال الخليقين بألقاب البطولة هم العلماء ، لأنهم لايحاربون إخوانهم من الناس بالسيف والرمح ليقوضوا الحضارة ويخربوا

المدنية ، وإنما يحاربون أمراض الانسانية وأدواءها لتصح وتسلم وتكمل ، وهذا هو الجهاد ، وتلك هي البطولة :

لو يرى الله بمصباح لما كان إلا العلم جل الله شأنا
باطرازا يبعث الله به في نواحي مملكه آنا فآنا
من رجال خلقوا ألوية ونجوما وغيوثا ورعانا
قادة الناس وإن لم يقربوا طبعات الهند والسمر اللدانا
وهم الابطال كانت حربهم منذ شنوها على الجهل عوانا

. . .

أما العلم الذى يفتن فى ابتكار معاول التدمير والتخريب والازهاق والاحراق وتسلط الباطل على الحق ، والشر على الخير فالجهل خير منه والانسانية منه براء .

يقول شوقى بعد وصف الغواصة :

فلا كان بانيها ولا كان راكبها ولا كان بحر ضمها وحواها
واف على العلم الذى تدعونه إذا كان فى علم النفوس رداها

ويقول فى رثاء مصطفى فهمى باشا معرجا على الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ :

يتقاذفون بذات هول لم تهب حرم المسيح ولا حمى العذراء
من محدثات العلم إلا أنها إثم عواقبها على العلماء

(٨)

ويفخر بسبق مصر فى مجالى العلم ، وتفوقها على العالم القديم ، ويكرر الفخر بفضلها وأستاذيتها .

فى قصيدته الكبرى (أيها النيل) المهداة إلى الأستاذ مرجليوث يفخر بأن النيل مهد الحضارة ، فى واديه نبتت ، وعلى عبريه ترعرعت ، وضاع عبيرها فتنبه الأمم .وهذه الاثار الخالدات وصحائف البردى العتيقات نواطق وشواهد ، والى مصر وفد العطاش إلى المعرفة فارتووا

أصل الحضارة فى صعيدك ثابت ونباتها حسن عليك مخاق
ولدت فكنت المهد ثم ترعرعت فأظلها منك الحفى المشفق
ملأت وبارك حكمة مأثورها فى الصخر والبردى الكريم منبق

وبنت بيوت العلم باذخة الذرى يسعى لهن مغرب ومشرق

وكان نهازاً للفرص بنوه فيهن بمجد مصر وفضلها، يريد أن يبعث فى الشباب النخوة، ويحيى لهم مثل البطولة ومعالم السبق. ويستحثهم الى إعادة ما مضى، ويريد أيضا أن يفاخر الأمم بهذا المجد ليعلى شأن مصر الموفقة فى الجغرافيا الفلكية والاقليمية، وتوه برحلات المصريين وجوبهم البحار، فى عصور لا كهرباء فيها ولا بخار:

نزلن أول دار فى الثرى رفعت للشمس ملكا وللاقمار سلطانا
تفننت قبل خلق الفن وانفجرت علما على العصر الخالى وعرفانا
أبوة لو سكتنا عن مفاخرهم تواضعا نطقت صخرا وصوانا
لم يسلك الأرض قوم قبلهم سبلا ولا الزواخرا ثباجا وشطانا
تقدم الناس منهم محسنون مضوا الموت تحت لواء العلم شجعانا
جابوا العباب على عود وسارية وأوغلوا فى الفلا كالأسد وحدانا
أزمان لا البر بالوابور منتهبا ولا البخار لبنت الماء ربانا

وجميل منه أن يعود الى المؤتمر فيأمره أن يقف وقوف العالم ليناجى العلم مهده. ويذكر عهده، أزمان شب وترعرع فى رعاية الكهان والنبيين.

يا موكب العلم قف فى أرض (منف) به يناج مهدا ويذكر الصبا شانا
بكى تمائمه طفلا بها وبكى ملاعبا من ربا الوادى وأحضانا
أرض ترعرع لم يصحب بساحتها إلا نبيين قد طابوا وكهانا

(٩)

وبعد، فقد مجد شوقى العلم أى تمجيد، فما قدر المعلم فى نظره؟ إنه لقدر عظيم وبحسبه أنه يكاد يكون رسولا، وأن الله تعالى هو المعلم الاول، علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم، وأنه تعالى ابتعث الأنبياء معلمين:

وإنك لا تجد فى الأمة أعظم منه أثرا، ولا أجل خطرا. لأنه يبنى نفوسا وعقولا، وأن المعلمين هم الذين يحملون العبء ثقيلا، وهم هداة الامم الى الخير والحق والجمال، وقائدوها الى العزة والكرامة؛ ولذا قال بسمرك بعد حرب السبعين

« إنما غلبنا جارتنا بمعلم المدرسة » قال شوقي :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذى يبنى وينشىء أنفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا وابن البتول فعلم الانجيلا
وبجرت ينبوع البيان محمدا فسقى الحديث وناول التنزيلا
أمعلمى الوادى وساسة نشئه والطابعين شبابه المأمولا
والحاملين إذا دعوا ليعلموا عبء الأمانة فادحا مسئولا
إنى لأعذركم وأحسب عبأكم من بين أعباء الرجال ثقيلا

احمد محمد الحوفى
المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية